وينهى رسل رأيه فى مشكلة المعرفة الأخلاقية إلى القول بأنه على الرغم من الأخلاق تتضمن بيانات قد تكون صحيحة أو خاطئة، وليست مجرد أمنيات أو نواهى، فإن أساسها أساس من الشعور والإحساس، الشعور بالتحبيذ والإحساس بالاستمتاع أو الاكتفاء، الأول لأنه متضمن فى تعريف «الصواب» Right و«الخطأ» Wrong، والثانى لأنه يتضمن فى تعريف «القيمة الذاتية» Intrinsic Value، إن ما نعتمد عليه فى إقناع الناس بقبول نظريتنا الأخلاقية ليس الوقائع الحسية The Facts of Perception بل الانفعالات Emotionsوالإحساسات التى انبثقت منها مفاهيم «الصواب» و«الخطأ» و«الخير»Good و«السيء»[1].

وعليها عُد رسل من أنصار الاتجاه الذاتى فى الأخلاق، فالقيم ما هى إلا تعبير عن حالة وجدانية، حيث يرى أنه إذا حكم الإنسان على فعل ما بأنه «خير» كانت صفة «الخير» هذه معبرة عن رغبته الذاتية فى ذلك الفعل، ولم تكن صفة موضوعية فى الفعل ذاته[2].

ثالثا: الرغبة وذاتية القيم

بادىء ذى بدء يقرر رسل هنا أن نظريته التى يتولى الدفاع عنها «تمثل شكلاً من أشكال المذهب الذى يعرف بذاتية القيم»[3]. وذاتية القيم تشير دائمًا إلى الرغبة desire، والرغبة هى ما قام به الفرد من أفعال، أى أنها عبارة عن فعل ناتج من وراء الإرادة أو الإحتياج أو القصد، لذلك كان للرغبة معنى تجريبى يتعلق بخبرة الشخص الفردية، ومعنى آخر سلوكى يتعلق بالفرد بوصفه عضوًا فى مجتمعه[4].

(1) آثرت أن أرجع فى هذا الموضع بالذات إلى المصدرين «الإنجليزى» و«الترجمة العربية» وذلك لأن الترجمة العربية ترجمت المفاهيم الحدسية بمعانى عامة وليست بمعانى أخلاقية، مثل كلمة Good التى ترجمت بمعنى «حسن» وهى تعنى فى البحث مفهوم «الخير»، وكلمة Emotions التى ترجمت بمعنى «المشاعر» وهى تعنى فى البحث بأكمله «الإنفعالات».

Bertrand Russell: Human Society In Ethics and Politics, George Allen and Unwin Ltd, London, 1963, p.118.

وانظر الترجمة العربية:

برتراند رسل: المجتمع البشرى فى الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص104.

(2) أحمد الصادق إبراهيم: الأخلاق عند برتراند رسل، مرجع سابق، ص74.

(3) برتراند رسل: الدين والعلم، مصدر سابق، ص238.

(4) Sidney Zink: The Concepts of Ethics, op. cit, p.68.

ويتلخص هذا المذهب فى القول «أنه إذا اختلف شخصان حول القيم، فإن الخلاف بينهما لا يتعلق بأى نوع من أنواع الحقيقة، ولكنه اختلاف فى الذوق taste، والأساس الذى أبنى عليه اعتناقى فى هذا الرأى هو الاستحالة المطلقة فى إيجاد أية محاجاة من شأنها أن هذا الرأى أو ذاك له قيمة نابعة من داخله. وإذا حدث وأن أجمعنا على رأى واحد، فيمكننا القول بأننا ندرك القيم عن طريق الحدس، ونحن إذن لا نستطيع أن نثبت لشخص مصاب بعمى الألوان أن الحشائش خضراء وليست حمراء. ولكن هناك طرقًا مختلفة نثبت بها له أنه يفتقر إلى القدرة على التمييز التى تتوافر لدى معظم الناس، بينما لا توجد مثل هذه الطرق فى حالة القيم عما هو الحال فى حالة الألوان. وحيث أنه لا يمكننا أن نتخيل طريقة نحسم بها الخلاف حول القيم فإنه يتبع ذلك نتيجة تفرض نفسها علينا، فحواها أن الخلاف خلاف فى الذوق taste وليس خلافًا متعلقًا بالحقيقة الموضوعية»[1].

من خلال النص السابق للفيلسوف محور الدراسة، يتبن لنا أنه يرفض النظرية الحدسية فى مجال القيم، وذلك لكونها عاجزة عن تقديم إثباتات أو براهين لمن أصيب بعمى الألوان فى توضيح ألوان الحشائش وغيرها من الأمثلة التى تثبت عجز النظرية الحدسية التى كان يعتنقها رسل مسبقًا، وبالتالى يعرض رسل لنظريته الذاتيةSubjectivity المبنية على الرغبة desire، فذاتية القيم هنا أن الاختلاف بين الناس فى مشكلة القيم لا يكون اختلافا حول أنواع الصدق أو الموضوعية العلمية، وإنما هو اختلاف ذوقي.

يحاول «بول إدوارد» تحليل ما وصلت إليه فلسفة رسل فى منعطفها الأخير (كما يطلق عليها إدوارد) فيقرر أن رسل تبنى فى هذا الموقف الأخير لنظريته الأخلاقية ذلك الموقف المعارض لنظريته الحدسية التى قدمها عن «الخير» و«السيء»، بل قام رسل بدحضها، فلم تعد تمثل أفكارها كيفيات qualities تختص بموضوعات الأشياء، أما نظريته الأخيرة فهى تتعارض أيضًا مع رؤيته المقدمة عن المربع أو الحلوى «this is square or this is sweet». فإذا اختلف شخصان فى الحكم على القيم، فإن اختلافهما لا يعنى أى نوع من عدم التوافق بالنسبة إلى نوعية الصدق truth ولكن الاختلاف هنا يكون فى الذوق، وبالتالى لا توجد أى وقائع أخلاقية there are no facts of ethics[2].

(1) برتراند رسل: الدين والعلم، مصدر سابق، ص ص239-238..

(2) Paul Edwards: Russell, Bertrand Arthur William, Op.cit, p.252.

ولمزيد من التوضيح والتأكيد بخصوص الرغبة القيمية وعلاقتها بالذاتية الأخلاقية، فإن رسل يحاول استكشاف المعنى الذاتى للرغبة من خلال مقارنة القيمة بالطبيعة، فيرى فيلسوفنا أن هناك عالمين يعيش فيهما الإنسان يختلف الواحد منهما عن الآخر اختلافا بعيدًا: الأول عالم الطبيعة، والثانى عالم القيمة، فيعيش الإنسان فى عالم الطبيعة جزءًا منها، فأفكاره العقلية وحركاته البدنية خاضعة لنفس القوانين التى تسير بموجبها الذرات والنجوم[1]. وبالتالى تكون فلسفة الطبيعة شيئًا وفلسفة القيمة the philosophy of value شيئًا آخر مختلف تمامًا، فإذا ما كنا بصدد ما نعتقده خيرا good أو ما الذى نحبه like فإن هذه الاعتقادات ليس لها صلة بالمرة بتساؤلات فلسفة الطبيعة[2].

وليس ذلك بغريب كما عبر عنها رسل، وذلك لكون الموقف يختلف فى فلسفة القيمة عما هو عليه فى فلسفة الطبيعة، فالطبيعة تعد مجرد جزءٍ مما نتخيله imagine وكل شىء سواءً كان متخيلاً أم حقيقيًا، يمكن أن يكون هنا موضوعٌ لتقديرنا، ولا يوجد «معيار برانى» outside standard يمكنه أن يبين لنا أن تقييمنا valuation خاطئًا، فنحن أنفسنا أصحاب الكلمة النهائية فى القيمة، ففى عالم القيمة تكون الطبيعة كلها لا تزيد على أن تكون مجرد جزءٍ من مملكة فسيحة الأرجاء، ومن ثم فنحن فى هذا العالم أعظم من الطبيعة[3].

وفى عالم القيم[*] the world of value تكون الطبيعة ذاتها محايدة neutral فلا هى خيرة ولا هى سيئة، ولا تستحق الإعجاب admiration أو اللوم censure فنحن فقط الذين نخلق

(1) Bertrand Russell: What I Belive, in, The Basic Writing of Bertrand Russell, edited by, Robert E. Egner and Laster E. Denonn, with an Introduction by, John G. Slater, Routledge Classics, London and New York, 2009, p.344.

(2) Ibid: p.348.

(3) Ibid: p.348.

(*) يشير الكاتب إلى حقيقة مهمة هنا، وهى أن برتراند رسل استخدم مصطلحين مختلفين فى معنى كلمة العالم، فتارة عبر عن العالم بالكلمة الإنجليزية world، وتارة أخرى فى نفس الموضع استخدم كلمة أخرى كان قد استخدمها من قبل الفيلسوف الأمريكى «جورج سانتيانا» فى تعبيره عن عوالم الوجود الأربعة عنده ألا وهى كلمة Realm وهى تعنى العالم أيضًا، ولكن لم يتبين للباحث بعد لماذا غير رسل فى تعبيره للكلمات، مع العلم أن عوالم الوجود عند رسل ثلاثة كما تبين للباحث من خلال مؤلفه «عقيدتى» , What I Belive وهما عالم الطبيعة وعالم القيمة وعالم المعاني، وذلك على النقيض من سانتيانا الذى جاءت عوالمه أربعة مستخدمًا كلمة واحدة كما أشرت.

القيمة، ورغباتنا هى التى تضفى القيمة على الشىء، فنحن فى هذا العالم Realm ملوكًا، وتضيع عروشنا لو انحنينا للطبيعة، فنحن فقط أصحاب الحق فى تحديد الحياة الكريمة(*) the good life وليس الطبيعة، ولا حتى الطبيعة منظورًا إليها كأنها الله(2).

من هنا يمكن القول بناءً على ما تقدم من الفيلسوف محل الدراسة، أن نظرية القيمة تختلف اختلافا جوهريًا عن فلسفة الطبيعة، التى يتخذها العلم محورًا مركزيًا فى دراساته الموضوعية، وبالتالى تكون فلسفة الأخلاق العاطفية هنا مغايرة تمامًا للعلم، حيث أنها تستخدم منطق الرغبة الذاتية، فالمحك الأساسى فى التمييز بين الأشياء هى كونها موضوعًا للرغبة، فليس للشىء قيمة فى ذاته، ولكنه قيمًا لأننا نرغب فيه.

يؤكد رسل أن الرغبة هى موضوع النظرية الأخلاقية، حيث يرى أن فكرة الخير والشر بأسرها يربطها شىء من العلاقة برغبات البشر، وأن أى شيء نجتمع على الرغبة فيه شيء خير، فى حين أننا نعتبر أى شيء نخشاه جميعًا شيئًا سيئًا، ولو أننا اتفقنا جميعًا فى رغباتنا لما كانت هناك مشكلة، ولكن رغباتنا لسوء الحظ متعارضة. فإذا قلت: «أن ما أريده فقط هو الخير» سوف يرد على جارى بقوله «لا بل ما أريده أنا هو فقط الخير». ومن ثم فإن علم الأخلاق كما يراه رسل ما هو إلا محاولة هنا للهروب من الذاتية، ولكنها محاولة غير ناجحة(3).

ولذلك يرى رسل أن علم الأخلاق على علاقة وطيدة بعلم السياسة، فعلم الأخلاق عبارة عن محاولة لجعل الرغبات الجماعية لدى جماعة من الناس تؤثر فى الأفراد أو أنها العكس محاولة من جانب فرد لكى يجعل رغباته تسود المجتمع الذى ينتمى إليه، وهنا يرى رسل أن الحالة الثانية قد تكون ممكنة فى حالة واحدة فقط، وهى إذا كانت رغبات الفرد غير متعارضة مع رغبات الجماعة، فمن العسير على اللص أن يقنع الناس بأنه يعمل لصالحهم(4).

بينما عندما نرغب فى أشياء نستطيع جميعًا الاشتراك فى الاستمتاع بها، فإنه يبدو من المعقول

(*) In this Realm we are kings, and we debase our kingship if we bow down to nature. It is for us to determine the Good Life, not for nature- not even for nature personified as God.

(2) Ibid: p.348.

(3) برتراند رسل: الدين والعلم، مصدر سابق، ص231.

(4) المصدر السابق: ص232.

أن نأمـل فى الحصول على موافقة الآخرين على ما نرغب، وهكذا يبدو للفيلسـوف الذى يقدر قيم الحق والخير والجمال أنه لا يعبر فقط عن رغباته الشـخصية، ولكنه يرسـم طريق السعادة لـكل البشر، وهو هنـا على خلاف الحرامى - قادرٌ على الاعتقاد بـأن رغباته تهدف إلى شيء له قيمتـه العامة، إن علم الأخـلاق هنا ما هو إلا محاولة لإضفاء الأهمية العامة وليس مجرد الأهمية الشخصية على جانب معين من رغباتنا[1].

ولذلـك كان الحكم الخلقى ليس تقريرًا عن واقعة أو وصفًـا لحقيقة، إنما هو انفعال معبر عن رغبة ذاتية أو حالة نفسية أشبه ما تكون بانفعال الغاضب أو النشوان.

وتحليل ذلك فى فلسفة رسل الانفعالية - أن الإنسان إذا ما حكم على فعل بأنه خير، كانت صفـة الخير هذه تجسـد رغبته الذاتية فى ذلك الفعل، ولم تكن صفـة موضوعية فى الفعل ذاته، وليست القيم سوى تعبير عن حالة وجدانية عند المتحدث، وليس هو بالأمر الذى يصف شيئًا فى عالم الواقع، فحين يقول القائل: وددت لو لم يكن بين الناس كراهية، وأن يسودهم الحب، فإذا فرضنا أن شخصين اختلفا فى الحكم على فعل بأنه خير فليس هناك فيصل موضوعى يرجع إليه فى قبول أحد الرأيين ورفض الآخر، ولذلك كان من المستحيل أن يتجادل اثنان فيما اختلفا فيه من أحكام القيم[2].

أضف إلى ذلك أن هناك العديد من المفاهيم المتعلقة بمفهوم الرغبة هذه، مثل مفهوم الاهتـمام Interest أو الحاجـة want أو الدافع Impluse وكذلك الغريزة Instinct وكل هـذه المفاهيم الفردية المختلفـة تصب فى معنى واحد هو الدافـع Motive ولكن هناك اختـلاف فى المعـانى، فالغريزة مثلاً صفة بيولوجية مشـتركة بين الـذوات البشرية، أما الرغبـة أو إرادة شيء مـا، فهى شيء فردى يختلف من شـخص لآخـر، فى حين أن هناك علاقة وطيدة بين كل من الرغبة desire والإرادة، فلا يمكن القول بأن شـخصًا ما يريد شـيئًا ما ولا يرغب فيـه، وهناك أيضًا العلاقـة القائمة بين الحب والاهتـمام، فأنا أرغب فى شيء مـا، ربمـا لا يكون معى، ولكنى أتمنى دائمًـا أن أمتلكه[3]. وهـذا يعنى أن الرغبة

(1) المصدر السابق: ص233.

(2) مصطفى غالب: برتراند رسل، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1991م، ص ص128-127.

(3) Sidney Zink: The Concepts of Ethics, op. cit, pp.64,65.

الانفعاليـة تعنى التمنى، كما تعنى الاهتمام، حيـث أن كل من الرغبة والاهتمام والتمنى تشير فى حقيقتها إلى فكرة الدافع.

كما يشـترك مفهوم الرغبة كثيرًا مع فكرة «القصدية» Intention أو «الإختيار» choice وذلك لأننى عندما أقوم بالتساؤل الفلسفى عن هذه التصورات الأخلاقية، فإنى اسأل عن حدث أو فعل action قام به الفرد، أو عن الدافع وراء قيامه بهذا الفعل[1].

من خلال ما سـبق يمكن القول أن القيم الأخلاقية تنشـأ عن ذات قائلها بكل ما تضم من ميـول ورغبات ووجدانات وأهـواء، هى أحكام ذاتية تنبثق من الذات الحاسـة بكل ما تضم من أحاسـيس ومشـاعر ووجدانات، وهذا هو العنصر الذاتى الذى يفتقر فى وجوده إلى ذواتنا، وهذه هى النزعة الذاتية subjectivism عامة، وفى دراسة القيم بوجه خاص[2]. وعندما كانت القيم الأخلاقية منشـأها ذات المتكلم، فإن هنـاك اتفاقًا على أن الدافع motive هو الذى يحرك الإرادة will حيـث يتم البحث عنه من خلال إحدى الشروط conditions التى تم إيجادها من خلال التحليل الذى يشير إلى أفعال الإرادة، وهذه الشروط موجودة على صورتين هما: الشعور feeling والرغبة desire ففى أى من هاتين الصورتين نبحث عن الدافع[3].

وهنا تتفق آراء رسل مع آراء حركة الوضعية المنطقية المعاصرة، فإذا كانت آراؤه قد جاءت من قبل متفقة مع كل من «آيـر» و«ريشـنباخ» فى كون الانفعال مميزًا للأخلاق عن العلم، فإن فيلسوفنا هنا آراه يتفق مع ما ذهب إليه « كارناب» R. Carnap (1891 - 1970)، وهو أحد كبار فلاسفة الوضعية المنطقية، حيث رأى الأخير «أن الحكم الأخلاقى المعيارى مجرد تعبير عن رغبة معينة، تعبير له الصورة النحوية الخاصة بالعبارة التقريرية. وقد انخدع معظم الفلاسـفة بهذه الصورة فظنوا أن العبارة القيمية قضية تقريرية فى واقعها، ولابد بالتالى من أن تكون صادقة أو كاذبـة. ومن هنا قدموا براهين عـلى قضاياهم القيمية الخاصة، وحاولوا نقض قضايا خصومهم، غير أن العبارة القيمية ليست فى الواقع أكثر من أمر وضع فى صيغة نحوية مضللة»[4].

---

(1) Ibid: p.68.

(2) توفيق الطويل: قضايا من رحاب الفلسفة والعلم، مرجع سابق، ص22.

(3) J. H. Muirhead: The Elements of Ethics, John Murray, London, 1892, p.56.

(4) سحبان محمود الحمدان خليفات: لغة الأخلاق- دراسة تحليلية لمنطق اللغة العربية فى مجال الأخلاق، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1977م، ص575.

وقد يكون لأمثال هذه العبارات فيما يراه «كارناب»- تأثيرات على أفعال الأفراد وسلوكياتهم، كما أنها قد تتوافق مع رغباتهم أو تتعارض معها، إلا أنها على وجه اليقين ليست صادقة أو كاذبة، إنها لا تثبت شيئًا، ولا يمكن إثباتها أو نفيها أيضًا. فعبارة أن «القتل شر» تساوى «لا تقتل! « إلا أن العبارة الأخيرة تعد من ناحية نحو ية شكلية أقل خداعٍ، إنه انفعالى من حيث أنه يسعى إلى تحريك أو بحث فردًا ما على الحركة[1].

وهنا يمكن القول أن مجمل آراء الوضعية المنطقية فى مجال الأخلاق قد جاءت نتيجةً لموقفهم فى دحض الميتافيزيقا، حيث يرون أن العبارات الميتافيزيقية وكذلك المعيار ية «عبارات» تدعى التعبير عن قضية حقيقية، غير أنها فى واقعها لا تعبر عن فروض تجريبية أو تحصيل حاصل. وعندما كانت قضايا تحصيل الحاصل، والفروض التجريبية تشكلان معًا فئة القضايا ذات المعنى، فمن الواضح أن جميع العبارات الميتافيزيقية لا معنى لها، ولذلك فإن الفيلسوف الأخلاقى قد ضلله نحو اللغة[2].

فالقضايا التى تحمل معنى عند «كارناب» يقسمها فى ثلاث فئات:

أ- قضايا صادقة بالنسبة لصورتها وحدها (أى تحصيل حاصل وهى المنطق والر ياضة وهى فى رأيه لا تقول شيئًا عن الواقع لأنها قضايا تحليلية أو تكرارية).

ب- قضايا تنطوى على تناقض منطقى وهذه قضايا كاذبة بالنسبة لصورتها.

جـ- قضايا تجريبية وقد تكون صادقة أو كاذبة. أما القضايا التى لا تنتمى إلى أى من هذه الفئات الثلاث فى نظر الوضعيين المناطقة، فهى خلو من المعنى، وقضايا الميتافيزيقا والأخلاق من هذا القبيل[3].

من خلال ما سبق يمكن القول أن دعوى الوضعية المنطقية فى الأخلاق جاءت متفقة مع الرؤية المقدمة من برتراند رسل، حيث أنكر الاثنان وجود قضايا أخلاقية أصيلة، فالعبارات

(1) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(2) سحبان محمود خليفات: لغة الأخلاق، مرجع سابق، ص576.

(3) محمود رجب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1987م، ص238.

الأخلاقية خالية من كل معنى معرفى، وهى بالتالى تختلف اختلافا بعيدًا عن النظريات العلمية أو النظريات الواقعية ذات الحقائق الموضوعية، التى يمكن وصفها بالصدق أو الكذب.

والحق أن رسل هنا لا يدعى لتفسه الأسبقية فى القول بالنظرية الانفعالية فى مجال الدراسات القيميـة، فللوضعية المنطقية باعٌ كبيرٌ فى القول بالعاطفة الانفعالية فى نظرية القيمة. فإن كان فيلسـوفنا بالفعل قد سـبق «آيـر» بعام واحد، عندمـا كتب «الدين والعلـم» 1935م، وكتب الأخير «اللغة والصدق والمنطق»1936م، إلا أن رسل يعترف بـ«أن الفيلسوف قد يضل بالفعل، ويهبط إلى مسـتوى سمسـار البورصة، وذلك عندما يدعى أنه المكتشف الأول لاكتشاف ما، فهذه مجرد انتكاسـة تصيب الفيلسوف، فالفيلسـوف الحق هنا هو ذلك الذى يستخدم قدراته الفلسفية الخالصة فى الاستمتاع بتأمل الحقيقة، وهو فى تأمله هذا لا يتدخل فى شئون الآخرين الذين يسعون مثله فى تأمل الحقيقة»[1].

يحاول رسل صياغة الأدلة أو الأمثلة التى تبرهن على وجود الرغبة الذاتية، وذلك من خلال مقارنتـه بين الرغبة الجزئيـة والرغبة الكلية، أو بين ما هو خاص ومـا هو عام، حيث يرى أن هذا التلاحم العجيب بين الخاص والعام فى مجال الدراسات القيمية قد أحدث كثيراً من الخلط والاضطراب فى النظرية الأخلاقية[2].

وهنـا تكون الأمثلة التى يقدمها رسـل من قبيل عندما يقول إنسـان: «أن هذا الشيء يعد خـيرًا فى ذاته» فإنه يسـتخدم هنا أسـلوبًا تقريريًا مثل قوله «هذا مربـع» أو «هذه حلوى»، ولكنى أعتقد أن هذا القول يعد خطأً، فمن الأحرى أن يقول: «أتمنى أن يرغب كل إنسـان فيما أرغـب»، أو «ليـت كل الناس يرغبون فى هذا الـشيء»، فإذا فسرنا ذلك القـول على أنه حالة أو تقريـر واقـع، فإن هذا القول يكون مجرد تأكيد لأمنيته الشـخصية أو رغبته الذاتية. وعلى النقيـض من ذلـك إذا فسرنا القول السـابق بطريقة كلية (عامة)، فإن القـول فى هذه الحالة لا يقرر شيئًا بل يصبح مجرد تعبير عن الرغبة فى شيء[3]. فالتمنى هنا مسألة شخصية ولكن الرغبة التى يرنو إليها هذا التمنى تتسم بالعمومية والشمول[4].

(1) برتراند رسل: الدين والعلم، مصدر سابق، ص233.
(2) المصدر السابق: ص236.
(3) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(4) المصدر السابق: نفس الصفحة.

ويوضح رسل فكرته فيقارن بين العبارتين التاليتين: إذا قلت أن «كل الصينيين بوذيون» فإنه يمكن دحض قولى عن طريق الإشارة إلى مواطن صينى يدين بالمسيحية أو الإسلام، لكنى إذا قلت «أعتقد أن كل الصينيين بوذيون» فإنه لا يمكن دحض ما أقول عن طريق الاستناد إلى دليل مستمد من الصين، ولكن يمكن دحض ما أقول فقط عن طريق إبراز الدليل على أنى لست مؤمنًا بما أقول، أى أنه لا يعتقد أو لا يؤمن بما أقول، لأن ما أؤكده ليس سوى تعبير عن حالتى الذهنية[1].

فإذا قال فيلسوف - كما يقول رسل- «أن الجمالَ خيرٌ» فإن هذه العبارة قد يكون لها معنيان، فهى تعنى «ياليت كل إنسان يحب الجمال» التى تناظر «كل الصينيين بوذيون» أو قد تعنى «أتمنى كل إنسان يحب ما هو جميل» والتى تناظر «أعتقد أن كل الصينيين بوذيون». من هنا فإن العبارة الأولى لا تؤكد شيئًا عند رسل، لأنها تعبر عن رغبة ذاتية، وعندما كانت هذه العبارة لا تؤكد شيئًا فإنه يستحيل من الناحية المنطقية الدفاع عنها أو الهجوم عليها، أو أن يقوم الدليل على صحتها أو خطأها، وذلك لكونها تعبر فقط عن رغبة desire فى شىء ما، ولا تقرر شيئًا ولا تؤكده، من هنا كانت هذه العبارة تنتمى إلى مجال النظرية الأخلاقية، بينما العبارة الثانية لا تنمتى إلى الدراسات الأخلاقية، وإنما تنتمى إلى مجال علم النفس أو سيرة الحياة[2].

وخلاصة القول يرى رسل أن مجال النظرية الانفعالية فى الأخلاق لا يحتوى على بيان حالة سواءً كان صادقًا أم كاذبًا، ولكنه يتكون من رغبات من نوع عام معين، هو ذلك النوع من البيان الذى يهتم برغبات البشر جميعًا، ويهتم بالآلهة والملائكة والشياطين إن كان لها وجود. وأنه بإمكان العلم أن يقوم بمناقشة أسباب الرغبات وطرق تحقيقها، ولكن لا يمكنه أن يحتوى على أية عبارات أخلاقية حقيقية وخالصة، لأنه يهتم باستقصاء ما هو حقيقى وما هو زائف[3]. فالرغبة هى ما تميز الأخلاق عن العلم فى فلسفة رسل، وليس هناك أية صورة من صور المعرفة فى مجال النظرية الأخلاقية[4].

(1) المصدر السابق: ص237.
(2) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(3) المصدر السابق: ص238.
(4) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 679.

ويصيغ رسل مجمل قوله فى طريقة تبدو أكثر جمالية وشعرية فى قوله «وبخصوص هذا الموضوع ليس هناك حجة argument ممكنة، ومن ثم فأنا لا أستطيع إثبات أن وجهة نظرى عن الحياة الكريمة The Good Life تعد صوابًا، فأنا هنا أستطيع فقط تقديم رؤيتى، وأتمنى أن تكون رؤية ممكنة حتى تنال رضاء الجميع، وهى: أن الحياة الكريمة هى تلك الحياة التى تستلهم الحب وتستهدى بالمعرفة[1].

«The Good Life is one inspired by Love and guided by Knowledge»

فالمعرفة والحب كلاهما قابل للانصهار فى الحياة، ومن ثم لابد من وجودهما معًا لكى تكون هناك حياة كريمة، فلا وجود للحب دون المعرفة، ولا وجود للمعرفة بدون الحب فى تحقيق الحياة الكريمة على ظهر البسيطة[2].

(1) Bertrand Russell: What I Belive, OP. cit, p.349.

(2) Ibid: p.349.